الدرس الأول

تمهيد: حين يتأملُ المرءُ الأرض التي يعيش عليها ، ويرى هذا الكون الواسع الجميل ، السماء بنجومها الكثيرة ، تسير بنظام متقن ، والأرض بجبالها، ووديانها ، وأنهارها ، بأشجارها وزروعها ، وهوائها ، ومائها، ببرها وبحرها ، بليلها ونهارها ، لابد له أن يتساءل : من الذي خلق هذا كله؟

من الذي أنزل من السماء الماء الذي لا تقوم الحياة إلا به ، فأخرج به النبات ، والأشجار ، والأزهار والثمار ، وسقى به الناس والأنعام ، وهيأ الأرض لتحتفظ به.

من الذي جعل خاصية الجاذبية على الأرض بمقدار يتناسب مع حاجة الأشياء إليها، فلا تزيد فتصعب الحركة عليها، ولا تنقص فتتطاير الأشياء منها؟ من الذي خلق الإنسان فأبدعه ، وجعله في أحسن صورة ؟

وحينما يتأمل المرء نفسه يجد العجب في إبداع الخالق، وإحكام صنعه ، تأمل في أجهزة جسمك المختلفة التي تعمل بطريقة محكمة ، ولا تعرف عن عملها إلا القليل ، فضلا عن أن استطاعتك التحكم فيها.

انظر إلى الهواء الذي تستنشقه ، لو توقف عنك لحظة لفارقت الحياة ، من الذي أوجده ؟

انظر إلى الماء الذي تشربه ، والطعام الذي تأكله ، والأرض التي تمشي عليها، والسماء وما فيها، والشمس التي تنير لك، والقمر والنجوم وكل ما تراه عينك ، من الذي خلق هذا كله؟

إنه الله . الله الذي خلق الكون كله ، وهو وحده الذي يتصرف فيه ويسيِّره.

إنه ربك الذي خلقك ، ورزقك ، ويحييك ، ويميتك ، وهو الذي أوجدك من العدم ، كما أوجد هذا العالم كله من العدم. بعد هذا كله ، هل يظن عاقل بأن الكون خُلق عبثًا ، وأن الناس يولدون ، ويعيشون على هذه الأرض زمنًا ثم يموتون ، وينتهي كل شيء. ... إذًا ما حقيقة الأمر ، ولماذا خُلقنا نحن البشر ؟

لماذا خُلقنا؟ خَلقنا الله ـ سبحانه ـ لعبادته وحده دون سواه ، وأرسل إلينا الرسل ، وأنزل الكتب ؛ لبيان كيفية عبادته ، فمن عبده وأطاع أوامره ، واجتنب نواهيه ، نال رضاه ، ومن أعرض عن عبادته ، ورفض الانقياد لأمره استحق غضبه وعقابه. وقد جعل الله هذه الدنيا دار عمل واختبار.

ثم يوم القيامة يبعث الله الناس جميعًا للجزاء والحساب ، وجعل الله هناك جنة فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، أعدها الله للمؤمنين الذين آمنوا به وأطاعوا أمره.

وجعل النار التي فيها من أنواع العذاب ما لا يخطر على بال ، أعدها الله لمن كفر به ، و عبد غيره ، واتبع دينًا غير الإسلام.

ما هو الإسلام ؟ الإسلام هو الدين الذي اختاره الله ، يدعو إلى عبادة الله وحده ، وطاعة رسوله محمد ﷺ . ولا يقبل الله من أحد دينًا غير الإسلام ، وهو ليس خاصًا بأحد دون أحد ، بل هو للناس أجمعين. وقد أمر الله عباده بعدد من الأوامر ، وحرم عليهم بعض المحرمات. فمن أطاعه فاز ونجا ، ومن عصاه خاب وخسر.

والإسلام ليس دينًا جديدًا ، بل هو الدين الذي اختاره الله لخلقه منذ بدأت الحياة على هذه الأرض ، وهو الدين الذي دعا إليه جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام .